الكرسي الرسولي

قداسة البابا فرنسيس

المقابلة العامة

تعليم

في الشّيخوخة

الأربعاء 10 آب/أغسطس 2022

قاعة بولس السادس

16. "إِنِّي ذاهِبٌ لأُعِدَّ لَكُم مَقامًا" (يوحنّا 14، 2)

الشّيخوخة، هي الوقت الموجّه إلى الاكتمال

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

وصلنا إلى أواخر التّعليم المسيحيّ المخصّص للشّيخوخة. سنتكلّم اليوم على العلاقة الوثيقة والمؤثّرة التي نجدها في وداع يسوع لتلاميذه، التي ورد ذكرها بإسهاب في إنجيل يوحنّا. بدأ خطاب الوداع بكلمات العزاء والوعد: "لا تَضْطَرِبْ قُلوبُكم" (14، 1)؛ "وإِذا ذَهَبتُ وأَعددتُ لَكُم مُقامًا، أَرجِعُ فآخُذُكم إِلَيَّ، لِتَكونوا أَنتُم أَيضًا حَيثُ أَنا أَكون" (14، 3). جميلة كلمات الرّبّ يسوع.

قبل ذلك بقليل، قال يسوع لبطرس: "أنت ستَتبَعُني بَعدَ حين" (13، 36)، مُذكِّرًا إيّاه أنّه يتابع مسيرته مع ضعف إيمانه. الوقت المتبقّي من حياة التّلاميذ سيكون حتمًا عبورًا من خلال ضعف الشّهادة، ومن خلال تحدّيات الأخوّة. وسيكون أيضًا عبورًا من خلال بركات الإيمان المليئة بالحماس: "مَن آمَنَ بي يَعمَلُ هو أيضًا الأَعمالَ الّتي أَعمَلُها أَنا، بل يَعمَلُ أَعظَمَ مِنها" (14، 12). لنفكّر في هذا الوعد! لا أدري هل نفكّر في هذا الأمر بعمق، وهل نؤمن به بعمق؟ لا أدري، أعتقد أنّه أحيانًا لا نفكّر في هذا الأمر...

الشّيخوخة هي الوقت المناسب للشّهادة المؤثّرة والسّعيدة لهذا الانتظار. كبير السّنّ وكبيرة السّنّ ينتظران هذا اللقاء. في الشّيخوخة، أصبحت أعمال الإيمان، التي تقرّبنا نحن والآخرين من ملكوت الله، خارج قوّة الطّاقات والكلمات ودوافع الشّباب والنّضج. ولهذا بالتّحديد، فإنّ أعمال الإيمان تزيد الوعد بهدف الحياة الحقيقيّة أكثر شفافيّة. وما هو هدف الحياة الحقيقيّة؟ مكان على المائدة مع الله، في عالم الله. إنّه ليتنا نعرف هل توجد، في الكنائس المحليّة، بعض الإشارات التي تهتم بهذه الخدمة الخاصّة خدمة انتظار الرّبّ يسوع – إنّها خدمة، خدمة انتظار الرّبّ يسوع - والتي تشجّع المواهب الفرديّة والصّفات الجماعيّة للمتقدِّمين في السّنّ.

الشّيخوخة التي تُعاش في مذلّةِ الفُرص الضّائعة، تجلب الإحباط لنفسها وللجميع. بينما الشّيخوخة التي تُعاش بِرضى واحترام لواقع الحياة، تقضي نهائيًّا على اللّبسَ الناجم من مفهوم القوّة التي يجب أن تكون كافية لنفسها ولنجاحها. وتزيل أيضًا اللبس في كنيسة تتكيّف مع الوضع الدنيوي، وتظن، بهذه الطريقة، أنّها تتحكّم بشكل نهائي بكمالها وتحقيق ذاتها. عندما نتحرّر من هذا الادّعاء، يكون وقت الشّيخوخة الذي منحنا إيّاه الله هو في حدّ ذاته أحد تلك الأعمال "العظيمة" التي تكلّم عنها يسوع. في الواقع، إنّه عمل لم يُعطَ ليسوع أن يحقّقه: لكن موته وقيامته من الموت وصعوده إلى السّماء، جعل ذلك ممكنًا لنا! لنتذكّر أنّ "الزمان فوق المكان". هذا قانون التّنشئة. لم تُصنع حياتنا لكي تنغلق على نفسها، في كمال أرضيّ وهميّ: بل هي موجّهة لأن تذهب إلى أبعد من ذلك، من خلال معبر الموت، لأنّ الموت هو معبر. في الواقع، إنّ مكاننا الثّابت، ونقطة الوصول ليست هنا. إنّها في جوار الرّبّ يسوع، حيث هو يقيم إلى الأبد.

هنا، على الأرض، تبدأ عمليّة "الابتداء والتدرب": نحن متدرّبون على الحياة ، نتعلّم - بين ألف صعوبة – أن نقدّر عطيّة الله، ونحترم مسؤوليّة مشاركتها وجعلها تؤتي ثمارها للجميع. إنّ وقت الحياة على الأرض هو نعمة هذا العبور. الثقة المغرورة التي تدّعي إيقاف الوقت – أي الرّغبة في الشّباب الأبديّ، والرّفاهيّة غير المحدودة، والسّلطة المطلقة – ليست فقط أمرًا مستحيلًا، بل هي هَذَيان.

وجودنا على الأرض هو وقت التّنشئة على الحياة: هي حياة، لكنّ الوقت يأخذك إلى الأمام نحو حياة أكمل، نحو تنشئة على حياة أكمل، الحياة التي تجد كمالها في الله فقط. نحن غير كاملين منذ البداية، ونبقى غير كاملين حتّى النهاية. في تحقيق وعد الله، تنقلب العلاقة: مجال الله، الذي يُعِدُّه لنا يسوع بكلّ عناية، هو أسمى من زمن حياتنا الفانية.
والشّيخوخة تقرّب الأمل في تحقيق هذا الكمال. الشّيخوخة تعرف بالتّأكيد معنى الزمن وحدود المكان الذي نعيش فيه تنشئتنا. الشّيخوخة حكيمة في هذا، كبار السّنّ هم حكماء في هذا. لهذا هي صادقة عندما تدعونا إلى الابتهاج بمرور الوقت: ليس ذلك تهديدًا، بل هو وعد. الشّيخوخة نبيلة، وهي لا تحتاج لأن تتنكّر لكي تُظهر نُبلها. ربّما يأتي التنكّر عندما ينقص النُّبل. الشّيخوخة صادقة عندما تدعونا إلى الابتهاج بمرور الوقت: لكن الوقت يمرّ، وليس هذا تهديدًا، بل هو وعد. الشّيخوخة التي تجد عمق نظرة الإيمان، ليست محافظة بطبيعتها، كما يقولون! عالم الله هو مجال لا حدود له، ومرور الوقت لم يَعُدْ له أهمية. في العشاء الأخير بالتّحديد، يسوع يوجّه نفسه نحو هذا الهدف، عندما يقول للتّلاميذ: "لَن أشرَبَ بَعدَ الآن مِن عَصير الكَرْمَةِ هذا حَتّى ذلك اليَومِ الّذي فيهِ أشرَبُه مَعَكُم جَديدًا في مَلكوتِ أبي" (متّى 26، 29). لقد ذهب إلى أبعد من ذلك. في عظاتنا، نملأ الفردوس عادة بالسعادة والنّور والمحبّة. ربّما ينقصه شيء من الحياة. تكلّم يسوع في الأمثال عن ملكوت الله وجعل فيها كثيرًا من الحياة. ألم نعد قادرين على ذلك، أن نتكلّم عن استمرار الحياة؟

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، الشّيخوخة التي نعيشها بانتظار الرّبّ يسوع، يمكنها أن تصبح الدفاع المكتمل عن الإيمان، الذي يعطي دليلًا للجميع عن سبب رجائنا (راجع 1 بطرس 3، 15). لأنّ الشّيخوخة تجعل وعد يسوع أكثر شفافيّة، وتتوجّه نحو المدينة المقدّسة التي يتحدّث عنها سفر الرّؤيا (الفصلَين 21-22). الشّيخوخة هي أفضل مرحلة في الحياة من أجل نشر البشرى السّارة بأنّ الحياة هي تنشئة من أجل بلوغ اكتمال نهائي. كبار السّن هم وَعد، هم شهادة لوعد. والأفضل لم يأت بعد. الأفضل لم يأت بعد: إنّه مثل رسالة كبير السّنّ وكبيرة السّنّ المؤمنين. الأفضل لم يأت بعد. ليمنحنا الله جميعًا شيخوخة قادرة على فعل هذا!

****

مِن إنجيلِ رَبّنا يَسُوعَ المَسيحِ لِلقِدّيسِ يوحنّا (14، 1-3)

لا تَضْطَربْ قُلوبُكُم: إنّكُم تُؤمِنونَ بِاللهِ فآمِنوا بي أيضًا. في بَيتِ أبي مَنازلُ كثيرة، ولَو لم تَكُنْ، أكُنتُ قُلتُ لَكم إنّي ذاهِبٌ لأُعِدّ لَكُم مُقامًا؟ وإذا ذَهَبتُ وأعدَدتُ لَكُم مُقامًا، أرجِعُ فآخُذُكم إلَيّ، لِتَكونوا أنتُم أيضًا حَيثُ أنا أكون.

كلامُ الرّبّ

****

Speaker:

تَكلّمَ قَداسَةُ البابا اليَومَ علَى الشّيخوخة، الّتي هي الوقتُ الموجّهُ إلى الاكتمال، وقال: الشّيخوخةُ هيَ الوقتُ المناسبُ للشّهادةِ المؤثّرَةِ والسّعيدةِ لانتظار اللقاءِ معَ يسوع. في الشّيخوخة، تصبحُ أعمالُ الإيمان، الّتي تقرّبُنا نحن والآخرين مِن ملكوتِ الله، خارجَ نطاقِ القوّةِ والطّاقاتِ والكلماتِ ودوافعِ الشّبابِ والنُّضج. لكنّها تَزيدُ الوعدَ بالهدفِ الحقيقي وضوحًا. نَهدِفُ إلى مكانٍ على مائدةِ الله، وفي عالمِ الله. الشّيخوخةُ الّتي نعيشُها بصورةِ إحباطٍ وشكوَى بسببِ الفُرَصِ الضّائعة، تَجلِبُ الإحباطَ لصاحبِها وللجميع. بينما الشّيخوخةُ الّتي نعيشُها رَاضِينَ وباحترامٍ لواقعِ الحياة، تقضي نهائيًّا على اللُّبْسِ الناجمِ عن مفهومِ القوّةِ والاكتفاءِ الذاتي. عندما نتحرّرُ مِن هذا الادعاء، ادعاءِ القوّةِ والاكتفاءِ الذاتي، يكونُ وقتُ الشّيخوخةِ الّذي منحَنا إيّاهُ الله هو بالفعلِ أحدَ تلكَ الأعمالِ "العظيمة" الّتي تكلّمَ عنها يسوع. لم تُصنعْ حياتُنا لكي تنغلِقَ على نفسِها، في كمالٍ أرضيّ وَوَهمِيّ: بل هيَ مُوجّهَةٌ لأن تذهبَ إلى أبعدَ مِن ذلك، بعدَ عبورِ الموت. لهذا، فإنّ مكانَنا الثّابت، ونقطةَ وصولِنا ليست هنا، بلْ في جوارِ الرّبِّ يسوع، حيثُ هو يُقيمُ إلى الأبد. إنّ وجودَنا على الأرضِ هوَ وقتُ التّنشئةِ والتدرّبِ على الحياة، الّتي تَجِدُ اكتمالَها في اللهِ فقط. وفي تحقيقِ وعدِ الله، تتقَلّبُ العَلاقةُ معه: فمجالُ الله، الّذي أعدّه لنا يسوعُ بكلّ عناية، هو أسمَى مِن زمنِ حياتِنا الفانية. والشّيخوخةُ زمنٌ يقرّبُنا مِن تحقيقِ هذا الوعد.

****

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba. La sicumera di fermare il tempo, cioè volere l'eterna giovinezza, il benessere illimitato, il potere assoluto, non è solo impossibile, è delirante, per cui, bisogna vivere la vecchiaia in quanto la fase della vita più adatta a diffondere la lieta notizia che la vita è iniziazione per un compimento definitivo. Il Signore vi benedica tutti e vi protegga sempre da ogni male!

****

Speaker:

أُحَيّي المؤمِنينَ الناطِقينَ باللغَةِ العربيّة. الثقةُ المغرورةُ في إيقافِ الوقت، أيّ الرّغبةُ في الشّبابِ الأبديّ، والرّفاهيّةِ غير المحدودة، والسُّلطةِ المطلقة، ليست فقط مستحيلة، بلْ هي هَذَيَان. لهذا علينا أن نعيشَ الشّيخوخةَ باعتبارها أفضلَ مرحلةٍ في الحياةِ مِن أجل نشر البُشرَى السّارة: أنّ الحياةَ هي تنشئةٌ لتحقيق هدفٍ نهائي. باركَكُم الرّبُّ جَميعًا وحَماكُم دائِمًا مِن كُلّ شَرّ!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2022

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana